تاريخ العلم العثماني



أحمد تيمور باشا

تاريخ العلم العثماني

تأليف
أحمد تيمور باشا



تاريخ العلم العثماني

أحمد تيمور باشا

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: ليلى يسري.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٦٦٢ ١

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه نبذة في تاريخ العلَم العثماني، كُنَّا نشرناها في صحيفة الأهرام في ١٣ شوال سنة ١٣٤١ لمَّا شرعت الدولة المصرية في تغيير عَلَمِها، وكثر السؤال يومئذٍ عن العلم العثماني وتاريخه لأنه الأصل في العلم المصري، فأجبنا بما يلي مع بعض الزيادات زدناها هنا.

لون العلم

اتخذ العثمانيون في مبدأ دولتهم العلَمَ الأبيض ثم غيَّروه بالأخضر ثم بالأحمر وهو اللون الباقي إلى اليوم. ولكن يُلاحَظ أنهم لَمَّا جعلوه أحمرَ لم يجعلوه في أول الأمر مُصْمَتًا — أي من لونٍ واحدٍ — كما هو الآن بل وضعوا في وسطه دائرة خضراء بيضيَّة بها ثلاثة أَهِلَّة وهو العلَم السلطاني، وكانت لهم أعلام أخرى خاصة بالوزراء وكتائب الجند مختلفة الألوان؛ منها الأحمر والأصفر والجامع بين الحمرة والصُّفرة أو الحمرة والخضرة أو الخضرة والبياض على ما سنبينه.

وقد بَيَّنَ لنا ابن إياس أن العلَم العثماني كان في زمنه من حرير أخضر وأحمر، ذكر ذلك في كلامه على قاسم بك حفيد السلطان بايزيد الثاني، وكان صبيًّا فرَّ به مربِّيه إلى مصر[١] وهو في الثالثة عشرة خوفًا عليه من السلطان سليم، فأكرمه سلطانها الغوري، ثم لما خرج هذا السلطان إلى حلب لقتال العثمانيين رأى أن يخرج معه هذا الأمير ويعظِّم من شأنه طمعًا في استمالتهم إليه. قال ابن إياس (ج٣ ص١٥١): «وكان سليم شاه يخشى من أمر قاسم بك هذا أن يلتفَّ عليه عساكر الروم من عساكر جدِّه ويولُّوه مملكة الروم، وسافر قاسم بك هذا صحبة الأشرف قانصوه الغوري إلى حلب وصنع له برقًا وسنيحًا حافلًا، وجعل له صنجقًا من حرير أخضر وأحمر كما هي عادة ملوك الروم.» انتهى.

[١] كذا في تاريخ ابن إياس والذي في السجل العثماني أنه فر إلى مصر مع أبيه علاء الدين بك.

والذي يُفهم من قوله: «عادة ملوك الروم» أن هذا العلَم كان على مثال العلم السلطاني أي الأحمر ذي الدائرة الخضراء في وسطه. ويؤيد ذلك كون الغوري بالَغ في إعظام شأن هذا الأمير وإظهاره بمظهر السلاطين ليبلغ به مقصده فيبعد أن يكون اتخذ له عَلَمًا جامعًا بين الخضرة والحمرة من أعلام الوزراء أو الجند.

ولم تكن نهاية هذا الأمير بخالية من ذكر علَم آخر أيضًا؛ فإنه عاد إلى مصر بعد هزيمة المصريين وبقي مُعظَّمًا عند طومان باي ثم اختفى بعد القبض على هذا السلطان، وظل مختفيًا إلى أن حدثت حادثة اليَكيچرية[٢] وجنوحهم إلى العصيان سنة ٩٢٤ في ولاية خير بك فأخذوا في البحث عنه ليبايعوه، فلم يوفَّقوا ثم ظفِر به خير بك فقتله خنقًا وأخرج لهم جثته ليفتَّ في عَضُدهم ثم جهزَّه ودفنه، قال ابن إياس: «فلما صلَّوْا عليه بالحوش حملت الأمراء نعشه على أكتافهم ثم نزلوا به من سلَّم المدرج ووضعوا عمامته على نعشه ورفعوا عليه علمًا أبيضَ، ثم توجَهوا به إلى تربة البجاسي[٣] فدفنوه فيها على أقاربه، وكانت جنازته مشهودة، وكثر عليه الأسف والحزن من الناس فإنه كان شابًّا جميل الصورة حسَن المنظر له من العمر سبع عشرة سنة وقد قُتل ظلمًا بغير ذنب وقد تناحرت عليه العثمانيون بالبكاء.» انتهى.

ولعل رفع العلم الأبيض على نعوش الأمراء كان عادةً عند العثمانيين، غير أننا لم نَقِفْ على شيء عنها، ولا يبعد أن تكون آتية من اتِّخاذ البياض علامة للحزن في بعض الأزمنة ببعض البلاد الإسلامية.

---

[٢] هي في النطق «ينيچرية» بالنون وبالجيم الأعجمية التي بين الشين والتاء، ومعناها العسكر الجديد؛ لأن معنى يكي «يني» الجديد وجري العسكر، وهي طائفة من الجند أحدثها السلطان أُرخان وأبادها السلطان محمود الثاني، والعامة تسميها الإنكشارية.

[٣] التربة المذكورة في قرافة المجاورين بجهة تربة برقوق، وبها جماعة ممن تُوُفُّوا بمصر من الأمراء العثمانيين رجالًا ونساءً، وقبر قاسم بك معروف بها إلى الآن. وملخص ما جاء عنه وعن أبيه في كاتب السجل العثماني ج٦ ص٥٨ و٦٣ أنه من أحفاد السلطان بايزيد الثاني، وكان والده علاء الدين بك بن أحمد يزيد فر إلى مصر ومات بها سنة ٩٢٠ وبقي بها ولده قاسم بك إلى أن استصحبه قانصوه الغوري في حربه، وبعد الهزيمة اختفى بمصر، ثم أمسكه الوالي خير بك، وتوفي سنة ٩٢٦ ودفن بمصر. انتهى.

قلنا والصواب ما ذكره ابن إياس عن قتله سنة ٩٢٤، أما سنة ٩٢٦ فتحريف في نسخة السجل العثماني وما أكثره فيها.

وذكر ابن إياس علم العثمانيين في موضع آخر (ج٣ ص١٠٥) فقال في حوادث استيلاء السلطان سليم على القاهرة: «فلما هرب السلطان طومان باي وقُتِلَ من قُتِلَ من الأمراء والعسكر رجع السلطان سليم شاه إلى وطاقه[٤] الذي في الجزيرة الوسطى ونصب في وطاقة صنجقَين أحدهما أبيض والآخر أحمر؛ وذلك إشارة عندهم لرفع السيف عن أهل المدينة، هكذا عادتهم في بلادهم إذا ملكوا مدينة وفتحوها بالسيف عنوة.»

قلنا: الظاهر أن العلَم الأبيض هو الذي كان علامة للأمان، وأما الأحمر فهو العلم السلطاني الذي يُرفَع حيث يكون السلطان، ولكنَّا لم ندْرِ أيعني بكونه أحمر أنه كان مُصْمتًا، فيكون غُيِّر في مدة سليم بإزالة الدائرة الخضراء من وسطه، أم أراد بذلك وصفه باللون الغالب عليه وهو الحمرة.

أما العلم الأبيض فلم يبتدعه العثمانيون بل كان عَلَمًا منحه السلطان علاء الدين آخر السلجوقيين[٥] للسلطان عثمان الأول، فلما استقل جعله علَم مملكته ولم يغيره، واستعمله بعده السلطان أَرْخان، ثم بدا للسلطان مراد الأول تغيير لونه فجعله أخضر ثم جعله السلطان محمدٌ أحمرَ ذا دائرة خضراء في وسطه، ولكن لم يعيِّن مؤرخو الترك أيَّ المحمدَين صاحب هذا التغيير، وقد تقدَّم في قول ابن إياس أن علَم سليم كان أحمر، فالتغيير على هذا إما لمحمد الأول الملقب بچلبي أو الثاني الملقب بالفاتح، وهما اللذان كانا قبله بهذا الاسم. وفي خبر منقطع لم يُسند إلى مصدر معروف رواه حمدي بك الذي كان ناظرًا لدار الآثار بالقسطنطينية ونقله عنه يعقوب أرتين باشا في كتابه عن الشارات في الشرق الذي ألَّفه بالفرنسية[٦] أن العلَم العثماني وقت الاستيلاء على القسطنطينية كان أخضر اللون مطرَّزًا

[٤] الوطاق محرف عن أوتاق أو أوتاغ، وهو في التركية الخيمة الكبيرة التي للعظماء.

[٥] هو علاء الدين كيقباد الثاني ابن فرامرز بن كيكاوس آخر ملوك الفرع السلجوقي بالروم «الأناضول» وكان مقرهم في قونية. حكم من سنة ٦٩٧–٦٩٩ وبه انقرضت مملكتهم من هذه الجهة وانقسمت إلى إمارات استقل ولاتهم بها ثم اندمجت في المملكة العثمانية.

[٦] انظر ص١٥٠ من هذا الكتاب، وأرتين باشا المذكور أرمني من رجال الدولة المصرية له تآليف وآثار، ترقَّى في المناصب إلى أن صار وكيلًا لنظارة المعارف، وتوفي بالقاهرة يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧.

بحديثٍ يُروى في فتح هذه المدينة وفضل فاتحها. وإذا صحَّ هذا فالتغيير إذن لمحمد الثاني الفاتح بعد الفتح.

وكان للعثمانيين أعلام أخرى دون العلَم السلطاني خصوا بها الوزراء وفرق الجند؛ فكان لذوي لقب «باشا»[٧] العلم الأبيض، ثم غيَّروه فجعلوه شقة خضراء مذهَّبة الأطراف في وسطها أخرى حمراء مستطيلة أصغر منها مذهَّبة الأطراف أيضًا مرقومة الوسط بكلمة التوحيد أو بآية قرآنية بدل الهلال. وكان لفرقة الفرسان المسماة «طوپراقلي سواريسي»[٨] علَم شطره الأعلى أخضر والأسفل أحمر مصوَّر عليه سيف مُذهَّب على مثال ذي الفقار محاط بأربعة أَهِلَّة مذهَّبة. ولليكيچرية علَم مثله يجمع اللونين إلا أنه مُذهَّب الأطراف وبوسطه صورة مذهبة لذي الفقار ولكن بلا أهلَّة وهو عَلَمهم الأكبر، وكان لكل فرقة من فرقهم علَم خاصٌّ يميِّزها. وللمدفعية علَم أحمر مُصْمَت مذهب الأطراف بوسطه مِدفع مفضَّض قد صُوِّرت كرةٌ أمام فمه وثلاثٌ خلفه. و«للخمبره جيَّة» وهم مطلقو الخمبرة[٩] من مدفع «الهاون» علم أحمر مُصمَت مُذهَّب الأطراف بوسطه صورة مفضَّضة لهذا المدفع. ولفرقة الفرسان «السپاه»[١٠] علم أحمر مصمت بوسطه هلالان مفضَّضان، وللفرسان «السلاحدارية» علم مثله إلا أنه أصفر مصمت، ولفرسان «البلوكات الأربعة» علم مخطط

[٧] الكلام في معناه وأصله طويل متشعب لا تحتمله الحواشي، وقد استوفينا ما قيل فيه في معجم العامية المصرية، أعاننا الله على إتمامه.

[٨] معنى طوپراق في التركية التراب والأرض، ويطلق أيضًا على الأرض المغلة، ومعنى السواري الفرسان، وقد سمت هذه الفرقة بذلك؛ لأنها كانت ترتزق وقت السلم من الأراضي بنظام خاص مذكور في تاريخ الجندية العثمانية.

[٩] الخمبرة أو الخنبرة بضم فسكون كلمة فارسية الأصل استعملها الأتراك للكرات النارية، وحرَّفها بعضهم بالقومبرة، واستعملها كُتَّاب العربية في العصور المتأخرة بلفظ قنبرة، ثم زادها كُتَّاب هذا العصر تحريفًا فقالوا قنبلة بضم القاف وإسكان النون وظنوها عربية، وإنما العربية القنبلة بفتح فسكون لجماعة الخيل لا الكرات النارية.

[١٠] السباه أو السباهي بكسر السين المهملة وتخفيف الباء الأعجمية: لفظة فارسية معناها العسكر وقيل الفرسان منهم، ولهم في أصلها كلام لا يحتمله المقام، وكانت تطلق في الدولة العثمانية على صِنف من الفرسان لهم نظام خاص مذكور في تاريخ جنديتها، وكثيرًا ما يعبر عنه متأخرو المؤرخين في التواريخ العربية بالاسباهية أو الاصباهية.

عرضًا بالخضرة والبياض، وللفرقة المسماة «كوكللو[11] سواريسي» أي الفرسان المتطوعة علم شطره الأعلى أصفر والأسفل أحمر، وللدليل العسكري علم مثله إلا أن شطره الأعلى أخضر.

[11] كوكللو أو كوكلي وينطق به جونللو أو جونلي بجيم مصرية ونون: معناه ذو الاختيار؛ أي الذي يفعل الشيء برغبته غير مجبَر، وكان يطلق في الدولة العثمانية على المتطوِّعة من الجند، ويُجمع اللفظان بإلحاق علامة الجمع في الآخر وهي «لر» التركية أو «ان» الفارسية المستعملة في التركية، ورأيناه مرسومًا في بعض التواريخ هكذا «ككللويان» أي بالواو والياء معًا قبل علامة الجمع. وقد تبين لنا أن لفظة «الكملية» أو «الجملية» أو «الجمليان» التي تَرِدُ ترد كثيرًا في التواريخ مراد بها فرقة من الجند محرفة عن «كوكلي» هذه لأن الكاف الثانية وهي نون في اللفظ يسهل إبدالها ميمًا. وقد ذكرها ابن إياس بلفظ «الكملية» في عدة مواضع منها (في ج٣ ص١٩٣ و١٩٨ و٢٠١) وذكرها الجزيري بهذا اللفظ أيضًا في درر الفرائد المنظمة (ج٢ص١٩ من نسختنا المخطوطة رقم ٩٢٦ تاريخ) وذكرها حسين أفندي في أجوبته عن مصر ونظامها سنة ١٢١٦ بلفظ «جمليان» بإلحاق علامة الجمع (ص١٢–١٨ من نسختنا المخطوطة رقم ٤٩٧ تاريخ)، أما الجبرتي فذكرها بالكاف في مواضع وبالجيم في أخرى وبلفظ ككلويان أيضًا (في ج١ ص٩١) فقال: «ومات الأمير حسن آغا بلفية الفقاري آغات ككلويان وأصله رومي الجنس.» إلى أن قال: «وتقلد آغات ككلويان سنة ثلاث وتسعين وألف.» إلخ، ولكن كان له الفضل في بيان ما طرأ على هذا اللفظ من التحريف بقوله (في ج٢ ص٢٢٤ في وفيات سنة ١٢٠٥): «ومات الصنو الوجيه والفريد النبيه محمد أفندي بن سليمان أفندي بن عبد الرحمن أفندي بن مصطفى أفندي ككلويان، ويقال لها في اللغة العامية جمليان.» انتهى، غير أن اللفظة حرفت في النسخة بككليويان وهو خطأ مطبعي.

الهلال

لما أَلَف يعقوب أرتين باشا كتابه عن الشارات بالشرق كتب إليه حمدي بك المتقدم ذكره نبذة عن العلَم العثماني افتتحها بقوله: «لا يُعلم بالتحقيق تاريخ اتِّخاذ الهلال والنجم على العلم التركي.» انتهى. وقد راجعنا أقوال مؤرخي الترك وغيرهم فلم نَرَهُمْ متَّفِقِين على أصل الهلال العثماني وسبب تصويره على العلَم وتاريخه، غير أن آراءهم فيه لم تتشعَّب إلا إلى رأيين مشهورين إذا استطعنا ترجيح أحدهما استنادًا على بعض الأدلة، فإنَّا لا نستطيع الوصول فيه إلى حكم قاطع رافع للخلاف.

الرأي الأول: أنه مقتبس من الروم بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية؛ لأنه كان شعار مملكتهم الشرقية، وهو قول الإفرنج في مَعَالِمِهم ومعاجمهم التاريخية. ويروى أنه قديم عند البيزنطيين قبل تكوين مملكة الروم الشرقية. وكان سبب اتخاذهم له أن فيليب المكدوني والد الإسكندر حاصر بيزنطية[1] في ليلة حالكة، ولما اقترب منها ظهر الهلال في الأفق وقت السَّحَر، وقيل بل ظهر القمر من وراء سحابة وبدا طرف منه كالهلال، فكشف لأهلها مواقع المحاصرين فدفعوهم عنها، وتيمَّنوا به فجعلوه شعارهم وصوروه على أبنيتهم ونقودهم. ثم لما جعلت هذه المدينة قاعدة للمملكة الشرقية بقي هذا الشعار لهذه المملكة، ثم لما فتحها العثمانيون ورأوه مصوَّرًا في كل مكان راقت لهم صورته، فاتَّخذوه شعارًا لهم أيضًا وصوروه على أعلامهم. وممن اعتمد هذا الرأي من مؤرخي الشرق المولى شهاب الدين المرجاني القَزاني في تاريخه «وفيَة الأسلاف وتحيَّة الأخلاف» فساق هذه الرواية ببعض اختلاف؛ وذلك بمناسبة كلامه على وضع صورة الهلال على

[1] بيزنطية اسم القسطنطينية القديم قبل أن يوسعها قسطنطين وينسبها إليه.

رءوس المآذن في قزان ثم قال: «وورث ذلك منهم القياصرة ثم العثمانية لما غلبوا عليها، ثم أُحدث ذلك في بلاد قزان متابعة لهم في هذا القرن الذي نحن فيه.» وقد ذكر مؤرخو الترك هذا الرأي ولكنهم لم يقطعوا به كما لم يقطعوا بالثاني وإن كانوا يرجحونه على ما يُؤخذ من كلامهم.

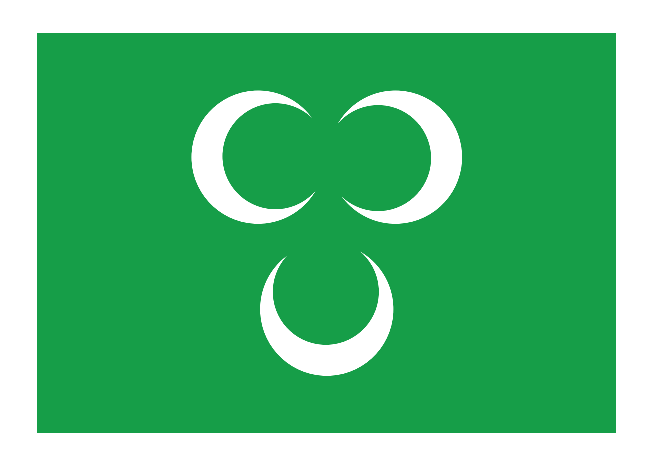
الرأي الثاني: أن الهلال كان معروفًا عند العثمانيين من منشأ دولتهم، وكان معروفًا أيضًا عند السلجوقيين، بل كان قبلهم عند الفرس ولا سيما في عصر الشاه خسرو؛ فقد نقش صورته على نقوده واتخذه شعارًا لدولته. وروى واصف أفندي في تاريخه أن بعض الخلفاء العباسيين كانوا يجعلونه هلالًا من النحاس المذهَّب على رأس عَلَمهم الأسود، فلما تغلَّب السلاطين عليهم وتحكموا فيهم استنكفوا من استعمال عَلَمهم فأحدثوا لأعلامهم شارات أخرى غير الهلال، وكان مصير العلم ذي الهلال بعد اضمحلال الخلافة إلى طوائف الصوفية ومشايخ الزوايا، وهو قول غير مستبعد وإن لم نَرَهُ لغيره. وفي خطط المقريزي (ج١ ص٤٤٨) وصبح الأعشى (ج٣ ص٤٧٣) أن الفاطميين كان لهم عَلَمان دون لواءَي الحمد، وهما رمحان برأسيهما هلالان من ذهب صامت وفي كل واحد منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فيفتحان[٢] فيظهر شكلهما يحملهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات في المواكب.

فيُرى من ذلك أن الهلال كان موجودًا في الدول الشرقية قبل فتح القسطنطينية، فكان في بعضها شعارًا ونقشًا في النقود، وفي بعضها شارة للأعلام إن لم يكن في متونها فعلى عوالي رماحها. وقد تقدم أن الأتراك ذكروا الرأي الأول في تواريخهم ولم يقطعوا به. أما الرأي الثاني فيروون أن الهلال كان شعارًا للسلجوقيين وكان متَّخَذًا عندهم في الأعلام ولكن على عواليها، وأن العلَم الأبيض الذي أهداه آخر سلاطينهم إلى السلطان عثمان كان متوَّج الرأس بتمثال هلال، فلما ورث العثمانيون مُلك السلجوقيين بعد انقراض دولتهم عَدُّوا هذا العلم علامة لاستقلالهم وتيَّمَنُوا بالهلال؛ فكان السلطان عثمان يجعله على أعلى مضربه لتكون علامة الاستقلال مرفوعة على رأسه في حلِّه كما تُرفع عليه فوق العلم في تَرحاله.

ثم لما غيَّر السلطان مراد الأول لون العلم الأبيض بالخُضرة جعل في وسطه ثلاثة أهلَّة بيضاء مفضَّضة التطريز اثنان منهما متقابلان والثالث تحتهما مرفوع الطرفين، ثم لما

[٢] رواية الخطط: «الريح فينتفتحان».

اتخذ السلطان محمد العلمَ الأحمر جعل في وسطه دائرة خضراء بيضيَّةً في وسطها ثلاثة أهلَّة مذهَّبة التطريز متناسقة الوضع في سطر واحد، ثم أُزِيلَتْ تلك الدائرة وحلَّ محلَّها الهلال على المتن الأحمر ولكنَّا لا ندري متى كان ذلك.

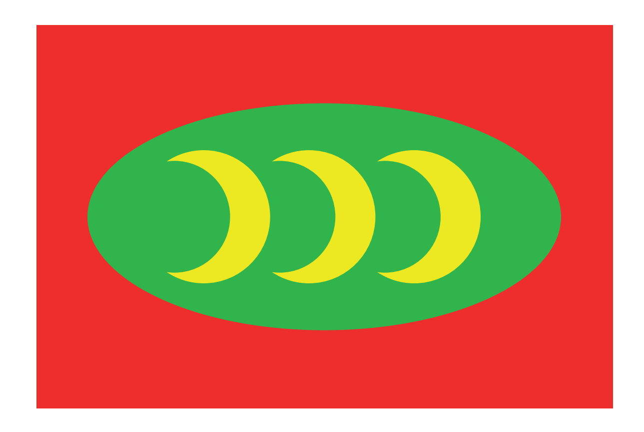


علم السلطان مراد الأخضر.

أما أعلام الكتائب فلم يكن منها ما عليه الهلال غير ثلاثة، فكان لعلم «طوپراقلي سواريسي» أربعة أهلَّة مذهَّبة؛ اثنان على الشطر الأخضر واثنان على الأحمر بينها صورة ذي الفقار كما تقدَّم. ولكل واحد من علم السپاه الأحمر وعلم السلاحدارية الأصفر هلالان مفضَّضان.

ولولوع السلاطين العثمانيين بتعظيم الهلال اتخذوه مرصَّعًا على الصورغوج، وهي حلية كانت تُجعل على العمائم والقلانس، وقصدهم أن يكون مرفوعًا دائمًا على رءوسهم. وصوَّره بعضهم على الأوسمة لما حدثت عندهم. والظاهر أن أوَّل وسام صور عليه كان «وسام الهلال» المرصَّع الذي أحدثه السلطان سليم الثالث، ثم أبدله السلطان محمود الثاني بوسام الافتخار على ما في مَعْلمة لاروس.

هذا ما استطعنا الوصول إليه عن أصل الهلال العثماني، ولا مطعن لنا في إحدى الروايتين، غير أننا لا نوافق على الرأي المبني على الرواية الأولى؛ فليس الهلال الرومي



علم السلطان محمد الأحمر ذو الدائرة الخضراء.

فيما يظهر لنا أصلًا للهلال العثماني كما يقول أصحاب هذا الرأي، بل الذي نرجِّحه استنتاجًا من الروايتين أن الهلال كان شعارًا للملكة الشرقية كما كان شعارًا للسلجوقيين والعثمانيين. فلما فتح هؤلاء القسطنطينية استنتج المؤرخون بعدهم من توافُق الشعارين ما نشأ عنه الرأي الأول. وسيبقى هذا الإشكال بلا حلٍّ حتى يهتدي الباحثون إلى نصٍّ صريحٍ لثقةٍ من معاصري الفتح.

النجم

وضعُ النجم على العلَم العثماني مضافًا إلى الهلال ليس بقديم كما يتوهمه كثيرون، ففي رواية تُروى أنه كان في زمن السلطان سليم الثالث المتولي من سنة ١٢٠٣ إلى ١٢٢٢ لمَّا أحدث النظام الجديد للجند.



العلم العثماني الأخير الأحمر ذو الهلال والنجم الأبيضين.

والذي في التواريخ التركية التي اطَّلَعْنا عليها أنه لم يصور على العلم إلا في زمن السلطان عبد المجيد بن محمود المتولي من سنة ١٢٥٥ إلى ١٢٧٧ بعد إحداثه «التنظيمات الخيرية».

ويحتمل أن يكون سليم الثالث أول مُحدِث له ثم أزيل بعد قيام اليكيچرية وإبطالهم النظام الجديد وقتلهم هذا السلطان، فلما أحدث السلطان عبد المجيد «التنظيمات الخيرية» وأراد التغيير في العلَم أعاد إليه ما كان أحدثه فيه سليم فنسب إليه إحداثه.

وسواء صح هذا أم ذاك فشكل العلم العثماني المعروف الآن بهلاله ونجمه الأبيضين ليس بقديم في الدولة فما جاء في مادة «ترك» من المَعْلَمة الوجدية[1] من أن وضعه على الهيئة التي هو عليها اليوم كان في عهد مراد الأول لا يخلو من نظر، ولعلَّ العبارة لمؤرخ قديم وصف فيها العلم العثماني الذي رآه فنقلت عنه ولم يُفطَن إلى أن مراده بها عَلَم عصره والله أعلم.

ولما تنكَّر الدهر لبني عثمان وأقصاهم عن الملك ومزق شمل مملكتهم بعد الحرب العظمى، ولم يبقَ للترك غير دويلة قاعدتها أنقرة، أبقوا على هذا العلَم ولم يغيروه كما غيروا كل شيء حتى تبرَّءوا من الإسلام، ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ.

[1] ج٢ ص٥٥٢ من الطبعة الأولى، واسم هذه المعلمة «دائرة معارف القرن الرابع عشر أو القرن العشرين».

العلم المصري الجديد

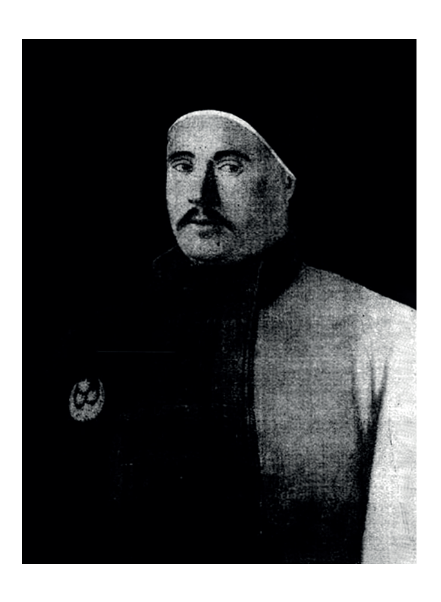
لم يكن لمصر عَلَم منذ افتتحها العثمانيون غير العلم العثماني كسائر ولاياتهم[١] وكان أخيرًا على شكله المعروف أحمرَ اللون ذا هلال ونجم أبيضين في وسطه. ولم يغَيَّر في حكم الأسرة العَلَوية على مصر إلى العصر الإسماعيلي فحدث فيه تمييز الشارة الخاصة بالأمير بهلال وثلاثة أنجم، والعلم الخاص به بثلاثة أهِلَّة وثلاثة أنجم، وبقي علم الإمار المصرية على ما كان عليه كعلم الدولة. ولم نَقِفْ في شيء من التواريخ ولا روايات الثقات على تغيير في الشارة قبل هذا العصر ولكنَّ أثرًا تاريخيًّا استوقف نظرنا وأثار فينا الظن إلى أن هذا التغيير قد يكون بُدئ به في عصر العزيز محمد علي؛ فإن في مجموعة الصور الملحقة بخزانتنا صورةً نادرة لعباس حلمي باشا الكبير[٢] في إبان صباه قبل توليته على مصر يُرى بها على الجهة اليمنى من صدره تمثال هلال وثلاثة أنجم. فإذا ثبت أن هذه الحِلْية من الشارات أو الأوسمة المصرية لا العثمانية كانت مظنَةً لما قدمناه، ومن أحرى الأمور بالبحث

[١] حدَث بعد الفتح العثماني انقسام جند مصر من الجراكسة إلى طائفتين كبيرتين؛ إحداهما: الفقارية نسبة إلى ذي الفقار بك وكان له علم أبيض برمانة في عالية رمحه، والأخرى: القاسمية نسبة إلى قاسم بك وكان علمها أحمر بجلبة، فكان بمصر علمان آخران غير علمها العثماني. ولكن لا يخفى أن كليهما كان عَلَمًا خاصًّا بفرقة من الجند غير معتبر علمًا للولاية.

[٢] هو عباس حلمي باشا ابن الأمير أحمد طوسون باشا ابن عزيز مصر محمد علي الكبير، مات أبوه وهو طفل فعطف عليه جده واعتنى بتربيته، وتولى على مصر سنة ١٢٦٤بعد وفاة عمه إبراهيم باشا؛ لأنه كان أكبر الأسرة العلوية سنًّا، وتوفي بقصره ببنها سنة ١٢٧٠.

والنظر إلا أن تكون التحلية بالأنجم الثلاثة وقعت عفوًا من غير أن يُقصد بها تمييز في الشارة.

وهذا مثال مصغر لهذه الصورة وهو فيها بالحلَّة القديمة ذات السروال الواسع والجمازة القصيرة المسماة عند العامة «بالصَّلْطَة»[٣] وعلى رأسه «الطربوش».



عباس باشا الكبير في إبان صباه قبل التولية.

الكبير ذو العذبة الطويلة وقد بدا منه طرف الكُمَّة «أي الطاقية» وكانوا يلبسونها تحته ويبدون طرفها منه لوقايته من العرق ولهذا يسميها البعض بالعَرَقيَّة.

[٣] صوابها في التركية «صالته» تخفيف «صالته مارقه» وهو لفظ دخيل من الإيطالية وأصله سنتومركو Santo Marco اسم قديس كانوا يعتقدون أنه حامي البندقية Veniso فأطلقوه على نوع من الأقبية القصيرة التي كان يلبسها الملاحون تيمنًا باسمه، ثم أطلقوه في التركية بعد تغيير بعض أحرفه على نوع من هذا اللباس يلبس على السراويل الواسعة، ثم خففوه بحذف جزئه الثاني.

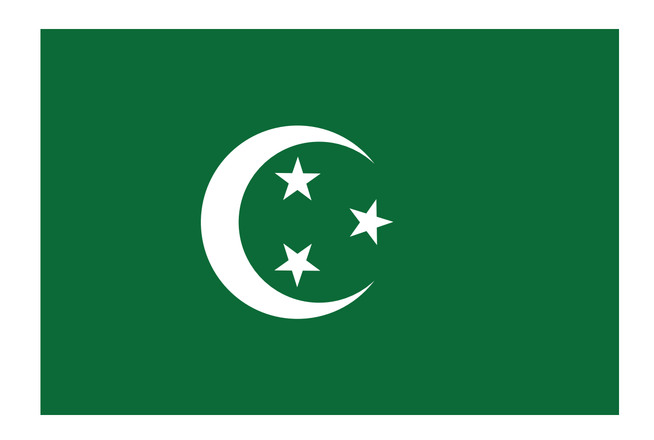
وفي أواخر سنة ١٣٣٢ وقعت الحرب العظمى بين الدول وأُعلنت الحماية الإنكليزية على مصر بعد فصلها عن الدولة العثمانية، وتولى عليها الأمير حسين كامل في ثاني صفر سنة ١٣٣٣ متلقبًا بالسلطان، فأخذ ولاة الأمر يفكرون في تغيير العلَم كما غيَّروا بعض الأنظمة، وأُشيعت عنه إشاعات، فقيل إنهم سيجعلونه أزرق وقيل أخضر، إلى أن استقر الرأي على اختيار العلم الأحمر ذي الثلاثة الأهلة والثلاثة الأنجم الذي كان خاصًّا بالأمير منذ العصر الإسماعيلي، فجعلوه عَلَمًا للدولة المصرية وهذه صورته:



العلم المصري الأحمر ذو الثلاثة الأهلة والثلاثة الأنجم.

وفي ١٦ رجب سنة ١٣٤٠ أعلن استقلال مصر وتغيَّر لقب سلطانها بالمَلِك، فشرعوا سنة ١٣٤١ ينظرون في تغيير العلَم واختلفت فيه الآراء وكثرت المقترحات، ثم انتهى الأمر بجعله أخضر اللون ذا هلال وثلاثة أنجم بيضاء، وجُعل العلم الخاص بالملك مثله إلا أنه مُيِّز بصورة تاج زيدت عليه في الزاوية التي بجانب عالية رمحه وكان ذلك سنة ١٣٤٢، واحتُفل برفعه على قصر عابدين مقر الملك بالقاهرة في يوم الأحد ١٥ جمادى الأولى من تلك السنة.

وهذه صورة علم الدولة منقولة من تقويم الحكومة:



العلم المصري الأخير الأخضر ذو الهلال والثلاثة الأنجم.

وأُحدِثَت أعلام أخرى للجيش المصري البري والبحري منعنا من ذكرها توخينا الاختصار في هذه النبذة، وسنذكرها إن شاء الله تعالى في رسالة أخرى نفصل فيها الكلام على أعلام الدول الإسلامية من الفتح الإسلامي إلى اليوم.


هنـــداوي